ميرداد

"سيدة البحر"

نوفيلا

د.نهى بلال

إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: ميردام سيدة البحر – نوفيلا

اسم المؤلف:نهى بلال

رقم الايداع:14970 /2019م

ترقيم دولي:978-977-6663-45-9

حقوق الطباعة محفوظة للدار وللمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزته في نطاق استعادة المعلومات أونقله أي شكل من الأشكال المعروفة حاليا أو التى ترد مستقبلاً دون إذن خطي مسبق

المراسلات:

دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل رقم 5275 شارع عماد مصطفى

موبايل:01144059975 ت: 27304004

تم طباعة هذا الكتاب على نفقة مؤسسة الحسيني الثقافية

إهـــــداء

إلى مـــَنْ كتبتُ من
وحي وجوده:
إلى البـــــــــحر.

نهـى بلال

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

1- " تَــوْقٌ إلى عِـــــناق "

****

"في صباحات الحنين، ولحظات التوق إلى عناقٍ، ما لي حيلةٌ إلا أن أحتسي قهوتي الصباحية المعبقة بحرماني وأبخرة اللهفة الماكثة تجثمُ فوق الصدرِ؛ فتكتم أنفاسَ انتشائي".

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

انقادتْ إليه بكل شغف وهيام، زحفتْ إلى أرضه العذراء – الأرض المنجورة تناثرتْ عليها حباتُ الرمال البيضاء الناعمة تغطيها في طبقةٍ كثيفة تبتلع الأقدامَ وتنتشي بتقبيلها– تجرُّ أطراف العباءةِ التي التحفتْ بها كهمومها التي ترفلُ فيها منذ عقود، ثم ما لبثتْ أن نزعتها وحجابِها، فأحستْ كم هي الآن حرة بعد أن تخففت من أول أثقالها التي أرهقتها.

عندما أصبحتْ حاسرة الرأس شعرتْ أن روحها بدأتْ تتسرب إلى البحر وبدأتْ روح البحر أيضًا تتسرب إليها بل أوشكا على الامتزاج.

تنسمتْ هواءَهُ العليل بشراهة المشتاق، تطاير رذاذُهُ الرطب يداعب أنفها، خطتْ نحوه بتؤدةٍ وإجلالٍ وثباتٍ، خلعتْ على عتبات الشاطىء نعليها حينها قَبَّلَتْ حباتُ الرمال قدميها، فثملتْ.

قالتْ له بعيونٍ وجلةٍ:

أيقونـةُ الطُّهر والعذاب تاقتْ إليكَ أيها الحضنُ المفقودُ.

خطواتُها الحثيثة إليه مع توقٍ شديدٍ إلى حضنه يدفعانها للارتماء داخله والاحتماء به والامتزاج الكامل بمائه.

مازالتْ تتقدم فى خطوها إليه– كـ" فينوس"، مشرئبة العنق تتنفس بارتياح ثم مدتْ النظر إلى هذا البراح الذي يحيطها – سيفانة تبخترتْ بدلالٍ مذعنةً لانقيادها حتى انتصف الماء خصرها المنحوت لجسم ممشوق معتدل فاره الطول، كما أن بشرتها تضاهي بياض السحب الصيفية التي تناثرتْ فى صفحة السماء فوقها فى نصوع نقائها وشدة بياضها، وحركتها تشبهها في خفتها ورشاقتها.

ما لبثتْ أن مدت ذراعيها أمامها بعد أن أرخت نصفها السفلي داخل الماء.

تخيلتْ أن البحر يصافح يديها الممدودتيْن فيقبلهما بامتنان ثم يشدها إليه برفق، لم تدرِ أيستدرجها البحرُ أم هي التي اعتزمتْ الاستسلام له ورغبتْ فيه راضيةً،

سألتْ نفسها متعجبةً بعد أن رأتْ أنها أصبحت نقطة في البحر: من أين جاء كلُّ هذا الماء، ومن أين اكتسبَ ملوحته؟

شرعتْ تُقَلِّبُ جنبيها وتسحبُ تحتها الماء بكل حماسةٍ ادخرتها لهذا اليوم تتمثل في حركتها السفين حين تشق عباب البحر وتسوق ماءه أمامها غيرَ عابئةٍ بمقاومته، ببسالةٍ شقتْ ظهره متجهة نحو الصخور البعيدة؛ ترنو إلى الاستواء عليها.

2- " مهـــــابةُ اللقـــاء "

****

" في صباحـــات الحنين؛

ثـــــاويةٌ أنا على جمر الانتظار،
عاكفةٌ على تصفح الذكريات؛
لا أكترثُ بالرائح والغادي".

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

ناجتْه مشفقةً:

قاتلـةٌ هـي المسـافات حينمـا لا نسـتطيع حصـر أميالها، ومعذبةٌ تلك الحدود التي تقف عائقًا بيننا وبين تحقيق الغايات، فأنى لي أن تضمني بين جنبيْكَ وبينهما بُعْدُ المشرقين؟!.

أسرَّتْ إلى نفسها بظنٍ"سأستطيع أن ألفت انتباهه على أي حال".

ففى شريعة البحر: "الحُـــبُّ كان لِزامًا والاقترانُ حتمًا سيكون مقضيًا".

حين استوتْ على صخرةٍ صغيرة في الطريق، آوتْ إليها كابن نوح لتعصمها من الماء، لم تدرِ كيف أتى الطوفانُ من خلفها لتغمرها كلُّ هذه الأمواج المتتابعة بمائها الغزير، كأنما صُفعت بما بقيَّ من ماءِ الطوفان بعد أن ابتلعتْ الأرضُ

ماءَها وأقلعتْ السماءُ وغيضَّ الماءُ الذي لم يُبْقِ بعد انحساره سوى دموعِ ابن نوح، حينما صفعتها موجةٌ غادرةٌ انقلبَ جسدها؛ غابتْ في الأسفل قليلًا، التقتْهُ لبرهةٍ بل رأته رأي العين، عاجلته متسائلةً لائمةً:

- ما أبكاكَ؟!.. ألم تختر نصيبك ونفذتَ قدرك المحتوم بملء إرادتك؟!.. بل قلْ: لن يفيد الندم ولن يفيد بكائيهْ. لم يتبقَ منك الآن إلا ماءُ عينك الأجاجُ، دموعٌ ذرفتها ندمًا على عصيانك وخطيئتك أو ربما إنكَ لم تجد مَنْ يكفكفها مثلي!

تركتْ جسدها حرًا ليطفو ثانيةً على سطح الماء، ثم عاودتْ السباحة وصولًا إلى صخرتها المفضلة. همهمتْ لنفسها بكلماتٍ * " ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا سِرٌّ أرقُ من النسيم إذا سَرَى
وأباحَ طرفي نظرة أملتها

فغدوتُ معروفًا وكنت منكرًا".

.....

*ابن الفارض

لوهلةٍ شعرتْ بانفراج أساريرها وأنها بدتْ مبتسمةً رغم أن ابتسامتها غابتْ عنها منذ زمن، وربما نسيَّتْ أو تناستْ آخر مرة شاهدتْ نفسها تبتسم أو سمعت ضحكتها الفاتنة، فصارتْ الضحكة أثمن ما تريد الحصول عليه في زمنٍ عَزَّ فيه الابتسام وأصبحت الضحكة شيئًا ثقيلًا، وربما ستصير ضائعة منها إلى الأبد.

ابتسمتْ للبحر تُمني نفسها أنها ستستطيع مراودته عن نفسه.

الآن سأُلقى بنفسي بين يديك أيها البحر العاشق لتهدهد روحي الآبقة من الأحلام، سأعيد إلى ثغري ابتسامته المفقودة حين تكفيني منك ضمةٌ حانية؛ فقط ضمة، أيها العاشق المتيم الزاخر بالأسرار، ولتعلم أن حاجتي إليك فاقتْ حدودَ الرغبة فيكَ إلى الحاجةِ إلى الحنان الذى يكون العوز إليه هو التمسكَ بآخر خيوط الحياة.

تاقتْ حقًا إلى تلك اللحظة التاريخية التي ترتمي في حضنه بعد استجدائها لحنانه وأن يطوقها بحزمٍ ويقْمِطُ تفاصيلَها التي تاقتْ إلى إحساس اللمس والاحتواء بعد أن تشبعت بإحساسها بالفراغ والخواء وبعد معاناتها في الصمود طويلًا، ومحاولتها إقناع نفسها أنَّ عليها تَقبل هذا الوضع بل عليها أن تتكيف وترضخ له فتظل مسربلةً في إحساس الفراغ الذى يكتنفُها

ويغلفُ روحَها؛ بل لا تعرف متى ينقشع هذا الإحساس أو متى تنتهي آثاره التي تقيد روحها.

الآن أوصلها الإحساسُ بالعوز لحضنٍ وأمانٍ، لاستجداء الحنان والدفء؛ كمحاولة أخيرة للتعلق بالحياة، الحنان الذي إذا افتقدناه طويلًا؛ نصبح قبل استجدائه مجرد صورٍ متحركة لإنسانيةٍ لا تَجِدُ معناها ولا تعرف كنهها، ولم تعد تدرك النفس هويتها ولا سبب وجودها أو بالأحرى لم تعد تشعر فارقًا بين الحياة والموت إلا أنها أقرب إلى إحساسها بالأُفول والفناء الذيْن تتمناهما الأنفس في لحظاتها التالية كلها؛ فتمضغُ الأنفسُ الأيامَ في مللٍ دونما أي اكتراث،

ولا إهتمام ،

ولا انتظار لأحدٍ،

ولا لحدثٍ جديد،

وحين نفقد الرغبةَ في اجترار ذكرياتنا القديمة أو رغبةَ التطلع لما هو آت؛ نفقد الإحساس بكل شيء حتى الإحساس بالضجر أو الخوف فلم يعد حتى الخوف من المجهول يغرينا للبحث عن فك شفرات الأشياء المبهمة؛ لم يعد لدينا الشغف والوله تجاه أى شيئ، فيصير العمر عرضةً لأسباب التعرية وفريسةً للتآكل والتلاشي.. لا اكتراث.. لا شغف.. لا انتظار لجديد.. مجرد استسلام وبرودة وبلادة؛ يصيبنا الجمود والركود، تغلف البرودة جميع أوصالنا بل تغلف أرواحنا ونفقد الإحساس بوحدة قياس الحياة؛ نفقد الإحساس بالزمن، فتخبو الأيامُ ومعالمُها رويدًا رويدًا، فلا نعرفُ موعدَ تكرارها إلا بنزع وريقة أخرى من سجل التقويم الموضوع على الحائط أو بلمحةٍ خاطفة من لحظٍ زائغ النظر لشاشة هاتفٍ بجوارنا، فلحاظنا ملَّتْ النظر وملَّتْ حتى

الاستغراق في تفاصيل الأشياء؛ حينها تصبحُ أيامنا باردةً جامدةً تمر مَرَّ السحاب.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

3- "اســـــتواءٌ على حافة الظل "

****

"أرأيتُك هذا الصباح الأجمل من بين كل صباحـــاتي، لهو الصباح الذي شاركتني فيه احتساء قهوتي، ولم تتعجل طقوسي في الاحتفاء بك".

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

حين استوتْ على صخرتها الأثيرة "الجودي"- كما كانتْ تسميها- تلمستْ بيديها الطحالب الخضراء التي كسَّتْ وجهها، لم يغررها استواؤها فوق هذا المثوى المؤقت الذي يحتاج إلى نشب أظفارها الواهنة لتتعلق جيدًا بأمانٍ مؤقت لن يسد جوعها لأمان دائم تاقتْ إليه نفسها ونشدته روحها الحائرة بين مرافئ الحرمان.

ما لبثت أن تاقتْ إلى الارتماء مرة أخرى في حضن معشوقها الأوحد؛ فكبتْ نفسها عليه لتمتزج به طائعةً، وعندما ألقتْ بنفسها وتخلتْ أدركتْ كم كانتْ تتوق حقًا إلى قبضة يمينه؛ يقبضها في تَحنانٍ وعنفوان، تتوق إلى أن يكبل بيديه تفاصيلها المتدثرة ببعض القطع الصغيرة من هتافيرٍ -كانتْ تستتر أسفل العباءة التي تحللتْ منها للتو- لم تَحُلْ دون طعم اللمسة

المباشرة بجلدها الناعم الرقيق فاستعذب تذوق تفاصيلها البضة الوارفة.

ودتْ لو أنه احتواها وتخلل كل ذرة في عقلها ونفض منه كلَّ ما تشبعت به من ذكرياتها المؤلمة كلها؛ فاستطاع محوها. تمنتْ لو عايش معها كلَّ أحزانها أو كان شاهدًا عليها فرقَّ لحالها، فعلم لمَ جاءتْ إليه الآن تبتغي منه سترًا من الأشجان وأمنًا مما آلمها وظلًا ظليلًا من حرِّ آهاتٍ جثمتْ فوق الصدر طويلًا ولم تسطع عليها إلا صبرًا.

4- "وهنا قضينا وطـرًا؟"

****

"فـي كـل يـوم أغـوصُ فـي ملامحـك، أرتشفُ من قسمات وجهك ما يروي شـغفي بـك، أتشـبعُ بنظراتـك الباسـمة التـي تُطريـني بغير إطراءٍ، فـــأعلنها: أحبُّـــــك".

قـــــالتْ:

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

لمَّا تناوبني ماؤه متخللًا إياي؛ فتسحبني موجة لتسلمني إلى شقيقتها الفتيةِ ذراعُها، بينما أمدُّ ذراعيَّ فوق الماء؛ أقاوم جذبها، فأعود قليلًا أدراجي، أستسلم لاحتضانه، كان جسدي يطفو كالطير المعلقة في جو السماء أنتبه بين الفينة والأخرى على لطمات الأمواج الصاخبة الصادحة بأهازيج العشق الطروب، وأخواتها من الموجات الحانية المتهادية فوق جسدى تداعبني برفقٍ وتلمس وجنتيَّ بحنو، أشعر أنني طفلٌ وليدٌ بدأ غفوته للتو بعد أن أَشَبَ له مهادُهُ الوثير بينما تتأرجح ذاكرتي كأحلامه الغضة فيرسل ابتسامة رضا.

دارتْ في دوامات –اصطنعتها بدورانها حول نفسها كالمريد في حلقة الذكر عندما ينقطع عن العالم ويتصل فحسب بالسماء؛ يغمره صمت الحواس؛ يغيبه عن ضجيج الواقع، في لحظات

الاستسلام لانعتاق الروح من ماديات الحياة إلى روحانيات مبهرة – بينما كان مركز الدوامات صخرةً صغيرة يتيمة نبتتْ في القاع، منذ بزغتْ تحت قدميها كانتْ كقطب المغناطيس الذى يربطها بقاع البحر فلم تستطع منه انعتاقًا ولا انفلاتًا.

بينما هو يتابع طقوس انتشائها، ظلتْ تدورُ حول نفسها كأنما تدور في فَلَكٍ، تعتريها لحظاتُ انتشاء متبادلة مع لحظات شجن، فشرعتْ تصدحُ مصطنعةً بكائيتها الخاصة في أُهزوجةٍ رافقتها كثيرًا فتزمُّ شفتيها مع أنين خافت، لكنَّ حزنها لا يخفى عليه، تحاول أن تُسْكِتَ نفسها فما جاءتْه إلا لتتناسى تلك الأحزان وتطرحها عن كاهلها المُثْقَل بحمْلِهاَ بيْدَ أن جسمها لا يتوقفُ عن الدوران بعد أن خف وزنها.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

انطلقتْ سابحةً حتى وصلت إلى مصدات الأمواج التي تميز هذا الشاطئ تحديدًا –شاطئ النخيل "palm Beach"– ورُغم أنه لا أثر لنخلٍ أو حدائق إلا أن الرمل الناعم الأبيض اللامع، الدقيقة حباته، يكاد يكون هو المميِّز لهذه المنطقة الغربية.

مصداتُ الأمواج الصناعية من الصخور العتيقة تناثرتْ أمامها على مسافاتٍ ثابتة، لكنها تعرف إحداها فسبحت شطرها، فاعتلتْ صخرتها المفضلة لاستراحةٍ صغيرة، ومن فوقها جلستْ تشاهد من بعيد رواد الشاطئ والمتنزهين كبقع متحركة أو ظلالٍ بعيدة، خُيِّلَ إليها وجود أحد رغم أنه لا أثر لإنس ولا لجانٍ، فهذا المكان المفضل لديها لم يكن آهلًا بالسكان مطلقًا، على الشاطىء عُلِّقت أعلام بلون وشاحها الأسود الذي خلعته بعد انقضاء مدة حدادها.

أحستْ بنشوةٍ غريبة تهدهد أوصالها وتسري في جسدها المبلل بالرغبة الجامحة.

رمقتْ صخرتها الصغيرة في القاع، وقد بانتْ غارقةً في ماء شفاف ترقرق حولها كأنما نبعه من نَهَرٍ جارٍ، أغراها المنظر بالنزول إلى القاع والغوص حدَّ الالتحام والتوَّحُد مع حلمها الضائع، فمدتْ رجلها تتحسسُ وجه الماء متمسكة بصخرتها التي اعتلتها فاستوتْ قاعدةً عليها وقد كُسِيَّ وجهها بالطحالب الخضراء كياقوتة فيروزية تَوَّجَتْ جبين أنثى منعمة، بعثت فيها إشراقةً جديدة لروحها، وأرسلتْ الشمس هي الأخرى أشعتها البرتقالية الدافئة، كانتْ تبعثها من ناحية غربية تتماوج مع زرقة سمائها، ويتراص السحاب الشفاف بلونه الثلجي الأبيض الرائق متناثرًا كعقد من اللؤلؤ يزين جيد السماء.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

ابتسمتْ لنفسها، وأحستْ أن السعادة بدأت تتخلل روحها حين شاهدتْ نفسها جزءًا من هذه اللوحة البديعة التي التحمتْ فيها الأرضُ بالسماءِ فأصبحتا رَتْقًا.

شغلها التَفَكُّر في آي الجمالِ الأثير حولها فانزلقتْ قدماها فهوتْ إلى عمق الماء غائبةً بداخله لبرهة.

استفاقتْ على خدرٍ لذيذ يسري في خلاياها كلِّها والموجُ يتخلل مساماتها فانتفضتْ نشوى بهدهدته، وسمعتْ زئيره المشفق كأنما هو منقذها لكأنه يسترحمها ويستدر عطفًا منها ثم لا يعبأ باستكانتها فتباغتها أناملُه متحسسةً كلَّ تفصيلة بجسدها.

همستْ له: جئتُ أدثر فيكَ نفسي..بل جئتُ أدثر فيك كلي.

أوحتْ إليه بشغفها، ثم بكل فتوةٍ ضمها إليه، قاومتْ جذبه، تصارعا كأنما المد والجزر إقبالًا وإدبارًا، لكنها استسلمتْ في النهاية لجموحه، وفي حضن الماء شعرتْ بروعة الانتشاء وروعة الاحتضان.

أدبرتْ ثم أقبلتْ مرارًا حتى أقبلتْ عليه هذه المرة فدنتْ كأقرب ما تكون، متدلهةً يجذبها ويتفاعل مع رغبتها؛ فاستسلمتْ لدغدغة أنامله متلذذةً باعتصارها بين يديه الفتيتيْن.

انقباضاتُها تصاعدتْ حدتُها حين كان يلثمها ويلعق جسدها بطرف موجة له – كَـ "هيدرا " وليدة– انفصلتْ عنه بالتبرعم The Budding .

مع تتابع حركاته كانتْ الرغبة تَخْفُتُ لديها قليلًا، لكن جذوتها لا تنطفىء، فتبتعد وتتدانى لأجل إشعالها من جديد.

عاودتها الحاجة إلى احتضانه، فاقتربت وابتعدت ثم استسلمت لفيض إحساسها لترتمي أخيرًا في حِضنه، تعجب من تدللها وإقصائها له لكنه شرع في مداعبتها رُغم أنه كان في نفسه مستنكرًا فعلها العجيب، فهي إذ تدنو يدنو لكنها تُنكر عليه حقه في إقباله عليها بينما تبدتْ مراوغتها جليةً في الاستجابة له والتفاعل مع رغبته في آن.

ما لبثا أن توحدا في حلقةٍ؛ دار فيها كلٌّ منهما مع الآخر في مدار واحد فتداخلتْ دواماتهما وصارت دوامة كبيرة تاهتْ بداخلها الخطوات وانمحتْ المسافات الفاصلة، وفي سرعة كبيرة كان دورانهما لا يتوقف حتى أحستْ أنها طافت بجسدها على كل الأماكن التي كانت تشتاق إليها وكم تمنتْ زورة قريبة إليها لكنها لا

تستطيع، فبقيت هذه الرغبة بداخلها مجرد أمنيات ربما قد تتحقق في يومٍ ما.

مـا لبثـت أن تحللـتْ قلـيلًا مـن التحامهـا بـه، فأبطـأت من حركتها وصـارتْ تـدور بخفـةٍ فـوق سطحه وهو قد راق له حالتها المنتشية وإحساسها بالنشوة التي يطالعها مرسومة على محياها.

شـعرتْ أنـها بحاجـة للغنـاء فعاونتها ذاكرة الحفظ رغم وهن الذاكرة وتلاشي تفاصيل كثيرة منها- انمحـتْ بفعـل الحـوادث ومحـدثات الأمـور فـي حياتها لا بمرور الوقت- فتمكنتْ من استرجاع أُهزوجتها القديمة من ذكريات الصبا.

فـي ذاك المساء حينما كانت ترددها على أنغام موسيقاه وهما يتراقصـان "Slow Dance"، ثم بعـد انقضـاء وصـلة الـرقص وطقوسـها، طفقـتْ تُخفـي تلك النـدبات القرمزيـة علـى عنقها ونحرها

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

فتسدل عليها شعرها الطويل، وبعدُ سيعاودها حنينها إليه حين يغيب عنها فسوف تتلمسها بسعادةٍ غامرةٍ أمام المرآة فتبتسم لدغدغة قبلاته المتتالية الكثيفة التي طُبعت على جسدها كوشم قرمزى غائرٍ رسمُهُ. تذكرتْ حين توارى خلفها لاثمًا سَحْرها فدار حول جسدها المرمري كأنه هو الآخر يدور في مسارٍ حول مغناطيسه.

لحظات استحضار لذكرياتٍ- مازالتْ عالقة في وجدانها ولا تتذكرها مطلقًا إلا عندما تكون في حضن البحر- طافتْ بها على كل الذكريات الوامضة فى عقلها حتى أفاقتْ على دغدغة أناملـه العابثة تنتشر على كل أعضائها فى الوقت نفسه، فيبهرها انتشاره واعتصاره، ورائحة عطره الزاكية تملأ فجوتي أنفها المنتفختين فتمتص منه رحيق عطره ليهبها الحياة الأُكسوجينية، الذى تتعبق بها خلاياها كلها؛

بنوياتهـا وعُضِـيَّاتها، فتستنشـق بشـراهة كـلَّ مـا يصل إليها من مائه وتتجرع أُكسوجينه المعطر برذاذ فحولته، فتثمل وتنتفض أنوثتها المنسية منذ زمن فى دهاليز الإهمال حتى حلَّ بأرض عمرها البـوار فتـوارتْ رغباتهـا وحـلَّ بروحهـا إحسـاس الانكسـار؛ فـأنكرتْ أنوثتهـا وشـيعتها إلـى مثواهـا الآخر فى غياهب الذاكرة.

كافح موجُهُ بشلالاته الهادرة؛ يريد الوصول إليها مسـتبيحًا اختراقهـا ومصـرًا علـى إتيانهـا، فمـلأ فجواتها وثناياها ومساماتها، فليس عليه حَرج وقد أغرته أنوثتها النابضة المطروحةُ فوق زَبَدِ الماء.

شـعرت باختراقـه القـوي المتـين؛ فانتشـتْ روحهـا وبـدأتْ تنفعـل لأفعالـه فتمـوج معـه فـي دوامـات تختلط بدواماته القوية، سحبها إلى الأسفل حيث الأعماق؛ التى ترتبتْ في طبقات مكتظة بالعتمة

والضوء حتى أوصلها إلى عرشها المتزين بقوس قُزح فسفوري الضياء.

أخذ بيدها فأجلسها على عرشها وقلدَّها تاجًا من اللؤلؤ الذى استضاءتْ حباته حين وضعه فوق هامتها.

كم كان رقيقًا حين أخذ بناصيتها فقبلها بكل ود ثم رفع يمينها فقبَّلها بكل تبجيل، أحستْ بسعادة فريدة لم تشعر بها في حياتها كلها، وأحستْ أن الكون يغني لها فشرعتْ تغرد معه أغاريدها المنتشية فشاركها البحر ممسكًا بيدها هذه المرة فغنى معها على أنغام سيمفونياته التي عزفتها شعابه المرجانية عندما تخللها الماء فعزفتْ أبواقها لهما لحن الحياة وتحركتْ حولهما ومع دورانهما.

ما إن استقرتْ على عرشها للحظات حتى عاودتها فطرتها الأنثوية فى ممارسة فن المراوغة

التى جُبلتْ عليها فعادتْ إلى مراوغته، فلا تريد أن يعاود تقبيلها أو لمس يديها فحتمًا سيطمع منها بالمزيد، متعللةً بعوزها إلى أكسجينها شرعتْ تستنشق من مائه بقوة وتسحبه معها صاعدةً لأعلى بل تراوغ محاولاته للنيل منها، فكل ما أهمها أن تتنفس حريتها من قبضةٍ ظنَّ أنه أحكمها للنهاية، لكنه لم يجد بُدًّا من متابعتها والانقياد لها والإذعان مُرْغَمًا لرغبتها فى التخلي أو التمسك فقد أسرته في حبها حتى لم يجد فِكاكًا من قيدها وليس لديه رغبةٌ أن يوقفها فهو تغريه حركاتها ودلالها، ومزاجيتها المتقلبة مادامتْ تدور في فلكه، استجاب قانعًا – حتى هذا الحين بما جادتْ به عليه– تحرك معها ملتصقًا بها ثم اضطرها إلى صدره ليكبل تسربها فأوقفها عن الدوران والحركة مطلِّقًا آهاتٍ وزفراتٍ قوية فتسمع هطول مائه مختلطًا بمائها الثخين.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

5-" بـــركانُ الشـــــبق "

****

"حسبـــــي من الأيـام أنـك هاهنـا، وسـأكتفي بيـديك تربـت بحنـوٍ فـوق يدي وتشد أزري، فـبكَ أكتفي".

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

هاهنـا تفجـرت أنـوثتي وأحسسـتُ بكيـاني وكنـه ذاتي،

هاهنـــا تفجـــرت ينـــابيعي فاختلطـــتْ بينابيعـــك المتفجرة من وحي أنوثتي التي أعدتَ اكتشافها.

لكـأن رغبتهـا خرجـتْ مـن بركـان خامـد انفجـر أخيرًا فتصـاعدت حممـه المكبوتـة التـي التقتْ مـع رغبتـه فـي لحظـةٍ آثرة غابـتْ فيهـا كلُّ التفاصـيل وتعطلتْ فيها كلُّ وظـائف الحـواس وتدثرتْ الروح والجسد بروح وجسد.

نظرتْ أسفل منهـا فوجدت بقعـةً بيضـاء مستديرة انبثقتْ من فوهتها السفلي كأنها نتجتْ من آثار انفجـار نـووي؛ بقعـةٌ بيضـاء تبدو كـالهلام ظلـتْ تتسع بؤرتها حتى رأتها رأي العين.

منظرٌ أعاد إليها تذكُّر المشـهد نفسـه الذي راقبتـه عـن كثـبٍ وقـد كانـت قريبـة لتشـاهد عـن بعـد وتسجل لحظة ميلاده؛ فبداخل الهلام رأتْ خيوطًا

متشابكة دق نسجُها؛ اتحدت واصطفت في نسيج متين لغرض الحماية؛ لأجل أن يحفظ شيئًا رقيقًا ثمينًا بالداخل.

بكل براءةٍ تحسستْ آثاره فرأته يشرع خارجًا من فجوة عميقة كبئر سحيقة أو فج عميق، ملطخًا أيضا بذياك الهلام الذي يشبه ركام السحب الفارغة أو يشبه شرنقةً لم تُحدد بعد هويتها أهي لحشرة أو لفراشة.

متربصون بها يريدون أن يُخرجوها من قريتهم؛ فهم أُناسٌ يتطهرون!.

حملتْ بين يديها بعض غِراف الماء المتفجر من أسفلها لتغسل تعرقها بعد هذا اللقاء المجاوز لحدود السعادة بعد انقضاء الوطر، فاغترفتْ غُرفةً من الماء حملتها بين يديها بكل حرصٍ لتغتسل قبل أن يتسرب سريعًا من بين يديها – كما حملته الأخرى من قبل– فانتبذتْ به مكانًا

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

شـرقيًا، فـآوتْ إلـى جـذع المـأوى القصـيّ تبتغـي سترًا وأمانًا يعصمها من الناس.

فلما حملتْه، ذهبتْ به متخفيةً، طرقتْ بابًا تعرفه جيدًا، لعلها تجد جِذْعًا تركنُ إليه فتضع وليدها أو تجد رُكنًا حصيفًا تريح لديه روحها الآبقة منها وتـؤوي جسـدها المنهـك، فلمـا فتحـتْ لهـا واستطلعتْ من أمرها ما لا يَسُرُّ أدخلتها مُكْرَهَةً.

قالتْ لها مؤنبةً:

" لِـمَ يـا نبتـة السـوء فـي الأرض البَـوار، يـا نبتـة السـوء مـن ظهـر نبتتـي الخائبـة؟!"، ثـم ضـمتها باكيـةً، فانفجرتـا فـي بكـاءٍ مريرٍ متواصـلٍ بحرقـة، فكمـا البكـاء حيلـة المغلـوب لمجابهـة الإحسـاس بـالقهر وقلـة الحيلـة والعجـز عـن التصـرف؛ فهـو حِرْفَة الأنثـى منـذ الأزل إلـى أبـد الآبـاد فـي الفـرح والحـزن أيضًـا، لكـن مـاذا يُجـدى الآن دمـعٌ مـن

لهيـب القهـر، ومـاذا يُجـدى عتـابٌ بعـد الزلـل والانزلاق في بحر الخطيئة والتوغل في دنسها؟

مـا انفكتْ تنظـر إليهـا تـارةً وإليـه تـارةً أخـرى ثـم تسـاءلت نظرتهـا الحـائرة المحدقـة فيهـا، وهـي تستطلع نظرات الألم والوجع التي تكابدها "كيف زَلَّـتْ قـدمكِ فـي هـذا الـيم الراكـد مـاؤه الآسـن قاعه؟!".

نظرتـا إليـه، هـو الجُـرْمُ الوليـد مـاذا عسـاه يكـون سوى عارٍ لا أحد يستطيع محوه من فوق الجبين مهمـا أوتـي من قوةٍ، مـازال مُغمض العينين لكن تجعدتْ ملامحُـه واكتستْ بـالقهر كأنـه كهلٌ ظل فـي محبسـه كأصـحاب الكهـف، حتـى شـاختْ ملامحه وطال عليه الأمد.

كاد مهاده من التراب أن يخبره بمصيره المحتوم.

–ماذا لو أردنا إبقاءه؟

– كيـف، وعلـى جبينـه سـيقرأ كـلُّ العـابرين الحكاية؟.. إنها حكاية سُطرت في سِفْرِ الأوجاع بحبر الآلام من البداية إلى النهاية.

لو اطلعتَ عليه لرأيته متخذًا وضع النائم؛ ذلك الوضع الذي اعتاده في ظلماته الثلاث، عاقدًا حاجبيه مُقَطِّبًا ما بينهما في نفور، كأنما هو الآخر يشمئز من الحياة معترضًا – رُغم أنه لا حق له حتى في أن يعترض– على الطريقة التى أتى بها إلى هنا، وعلى هذا الاستقبال الشائن الذي كان دليلًا على نهاية قصته ومصيره في رحلة حياته التى لن يستطيع أن يسطر ولو حرفًا واحدًا فيها، فكيف للنبتة الموؤدة أن تسأل فيجاب سؤلها وقد أُجِلَتْ ليوم الفصلِ؟؟!...

صفعتها موجةٌ فتيةٌ أفقدتها التوازن ورباطة جأشها، فأنزلتْ قطرةً من دمعٍ شحيح كان متواريًا

خلف صمودها، قطرةً ماطلتْ في الخروج كثيرًا، وعندما اختلطتْ دمعتها بماء البحر؛ ثارتْ أمواجه وتلاطمتْ بعد أن استطاع البحر فكَّ شفرة الحكاية، فقرأها ورأى مثلما رأتْ وتألم لما آلمها، وشاهد معها آخر مشهدٍ عندما رآه يطلق صرخاته المجلجلة التي اهتزتْ لها الأرضون السبع بمَنْ فيهن إلا أقدام السائرين.

صرخته الأخيرة المستغيثة فزع لها العالم البحري كله، فجُمعتْ له وحوله كلُّ كائنات البحر وسكانه؛ طفقوا يواسونه متحلقين حوله لكنه أبى السكوت حتى ألقمته حورية من حوريات البحر ثديها فنزل مع إفرازها الحنانُ الذى افتقده على الأرض ورضيَّ أن تتخذه ولدًا.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

6-"حُـــبٌّ سرمدىٌّ الخـــلود "

****

في صباحـــات الحنين،
طوافـــةٌ أنا على كل الأماكن التي جمعت أنفاسنا يومًا؛ أرتشفُ من عبق الذكرى رواءً لروحي الآبقة في فلوات البعد.
في صباحات الحنين،
أحتاجُ أن تدثرني حروفُكَ قبل أن يلتفَّ حولي ذراعُكَ، وتسكن روحي بهدهدتك قبل بواحكَ.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

_اركضـي برجلك هذا مُغْتَسَلٌ بـاردٌ وشفاءٌ، فمنذ أن وطأ الحبُّ قلبي لم يعرف سواكِ.

_جئـتُ إليـك طامعـةً بـكَ، أبتغـي منـك حضـنًا ينسيني آلامي ولا يرقع لي ذاكرتي المهترئة؛ أريدُ نسيانَ كل ما كان.

_هلمـي إلـيَّ حبيبتـى، فـامتزجي بـي؛ امتزجـي بكلـي، دعينـي أُدثـرُ روحـك وأهيمُ فـي ملكوتـك، دعيني أدثرُكِ بحناني، وأُريكِ كيف يكون العشق؛ فأنتِ معشوقتي ولكِ كلُّ التحنان.

_ أُوَاهُ!!.. أمواجـكَ الهـادرة تباغـت أفكـاري وتصفعها بقوة، فتستيقظ ذاكرتي وتحيي ذكرياتي المنزويـة فـي دهاليز النسيان بل تمحو أملي فـي النسيان.

_ تعاليْ، فحين ترتقين موجتي

أرتقي أنا بنشوتي السامقة. تعاليْ،

رقتْ الآن أمواجي؛ فدعيني أمسد أروقتك البضة أيتها الساحرة.

_سآتيك عندما تكف أمواجك الهادرة عن عمدها، مباغتةً أفكاري فتسطر بزبدها على صفحة روحي ما سمعتْ مني من حكايات قديمة أجتهد في محوها حتى تعبتْ ممحاتي وبُرِيَتْ وأُستبدلتْ آلافَ المراتِ.

_ رقيقةٌ أنتِ كلما أقبلتِ على استحياءٍ.

_رقيقٌ أنت كلما تحسستَ برفقٍ تاريخي.

_رقيقةٌ أنتِ وأنا أرقبك تتهادين كالنسمة في هدوء.

_غريرُ الشهد تقطف من رضابي ما استعذبت مني، فاستحللت كُلي.

_أتوقُ أكثر إلى التعرف بتفاصيلك المخبوءة.

_على رسلك!. أتدرى أن الولوج في شريعة العشق محرمٌ؟

_لـمَ لا؟!.. اسـتبد بـي الشـوق حبيبتـي وخـارت قوايَّ أمام رغبتي فيكِ.

_لا تتعجـل خاتمـةً، فهـذا أوان قطـاف الحـب والـذوبان علـى مهـلٍ، فـأعطني لحظـة الإمهـال حتى أرتويَّ بلحظاتِكَ وأنتشيَّ لكل فعل معك.

_خبريني إذن عن نواميس حبِّكِ وعلميني كيف أفضُّ بكارة أبجدياتك المصمتة.

_الحبُّ عندي ما كان حبًّا عذريًّا؛ فدعني أجثو مثل ليلى على صخرة التوباد ولتُسمعني قصائدَك التي جعلتها تمائم معلقة بصدرك منذ أزمان.

_آلآن حبيبتـي أسـمعكِ شـعرًا؛ وكلـي تـوقٌ إلـى الامتـزاج بـكِ؟!، وأُهْـدِرَ كثيـرٌ مـن مـائي الـدافق يرجـوكِ؛ رفقًـا وكفـى تعـذيبا، ورضـابكِ ينسـكبُ فاستحالتْ ملوحتي ماءً فُراتا ربما سيحيل رغبتي إلـى سـرابات ويبعثرهـا فـي طرقـات الشـتات، ألا

تشـفقين علـى كلينـا؟، ألا تـرحمين عاشـقَكِ المتـيم بكِ منذ بزغتْ أبجدياتُكِ في عصورها التليدة؟!.

_بلـى. أتـوقُ إلـى عاشـقي وأذوبُ فيـه عشقًـا، كمـا لا يذوبُ.

_أيتهـا الدؤوبـة علـى الغـوص فـي أعمـاق ذاتـي؛ أتُراني أعتصرك أم أنتِ مَنْ تعتصرين روحي؟

_أُبْحر في ذاتك مع انتشائي ويروقني أن تتبعني كظلـي المفقـود، وهـذا مـوطن انتشـاياتنا، فـانتظر فكلُّ شيىء في آنه آت.

_ماعدتُ مترددًا في اختراقكِ أبدًا وقد زال خجلي بعـدما لان قلبـي الصـخري بـين أناملـكِ الدقيقـة، فـدعيني أغمـركِ بمـائي الـدافق؛ فلتجعلـي منـه "**مَاسـكًا**" لوجهك الجميل الصبوح يُعْطِكِ نضـارة أبدية.

_أزخاتُ مائكَ تسقطها رجاءً واسترحامًا، فكيف تعتقد أني ذاتُ القلب القاسي؟!، تعالَ؛ فقد خارتْ قوايّ أيضًا وتحطمتْ مقاومتي على صخرتِك.

_ أتوقُ إليكِ يا مليكةَ الفؤاد.

_بل تتوق إلى غفوةٍ في مكانك المعهود، فقد جُبلْتَ على لذة الإتيانِ.

_ شوقي إليكِ يسري في خلاياي كلها، وانطلقتْ شرارة البدء.

_ تعال؛ أبثكَ ما لقيتُ من الجوى،

ولقد أتوقُ إلى إزديارك في الدجى؛ فأفترشُ موجَكَ مِهادًا ومنكَ جذوة العشق دومًا تصطلي.

_تعاليْ فاتنتي إلى رقيك وقرارك المكين في أحضاني.

_مُتعبـةٌ، مُرهقـةُ الـروح، مسـهدةُ العينـين مـن قبـل أن آتيـكَ، حتـى أضـحـى السـهاد كأنـه فقط خُلق لأجلي، فمَنْ سوى عاشقي يترفقُ؟!

_أنتظـر مجيئـكِ مـن العـام للعـام، أيـا حـوريتي الفاتنة.

_ يا عاشقي أنت الأماني والغايات والمنى، وأنا نحرتُ على عتباتك كلَّ أحلامي، فاقبلها منى قرابيني.

_ أسمعيني الآن ترانيمكِ وشدو حنينك، وأخبريني عـن حكاياتـك الآسـرة فاتلينهـا علـى مسـامعي، فدائمًا لا أكتفي منكِ؛ فارويني من عذب كلماتك وصـوتكِ الرقيق أستعذبُ نبراتـه المنافسـة لتراتيل السماء رقةً وجلالًا.

_ لا أدري بـم أُخبـرك وحكايـاتي كلهـا تشـابهتْ وتآلفت لتكوّن ملحمةً من عذابات وزفرات وأحزان المتعبين وبعدُ لم يجدوا مكانًا لهم بين السالكين.

_إذن؛ أسـمعيني مـا تحملـين فـي صـدرك مـن هموم؛ فأحمل عنكِ، فسأحملُ قدر اتساعي.

استعدتْ لتسرد لـه الحكايـة؛ لتخفف عن نفسها حِمل ما كان جاثيًا فوق صدرها، معللةً لنفسها كيـف سـتكون سـببًا فـي ألمـه إذا أباحـتْ لـه وفضفضت معه عندما ستسرد له مما كان يملأ نفسها ويوغر صدرها وما آلمها فيتألم هو الآخر، لولا اعتقادها أنه أكثر تحملًا منها كما أن ذاكرته اليوميـة لـن تحمـل آثـار هـذه الحكايـات طـويلًا؛ فسينسى سريعًا.

قـــــــالتْ:

جئتُـكَ مـن الأرض بخبـرٍ يقـين، إنـي رأيـتهن مقهوراتٍ مضطهداتٍ، لا تكاد الأرض تجفُ من ابـتلاع خيبـاتهن وستُروى أبـدًا بـدموعهن التـي لا يكترث بها إنسٌ ولا جان.

جئتُكَ أنا أيقونة الطُّهر بينهن أحمل عذاباتهن في ضميري، ولا أجدُ لهن خَرْجًا أفتديهن به مما هُنَّ فيه بعد ما اقترفتْه أيديهن، فأنى لهن الخروج من العارِ؟!

مذنباتٌ فكان قصاصٌ فيهن أن سُلِبَتْ حقوقُهن في الحياة الآمنة، وأصبحتُ أيقونةَ العذاب عندما أخذتُ على عاتقي نصرتَهن والإتيان بحقوقهن، فناءتْ مقاومتي بحَمْلِ آثامهن التي اطلعتُ عليها قَدَرًا، فكان قَدَري أن أظل أعدو خلف سراباتٍ وأتخفى خلف ظلالِ البعد والانعزال والانطواء فآثرتُ المجانبة بديلًا عن المجابهة اعترافًا بضعفي وقلة حيلتي.

استرسلتْ تسرد بينما أغمضتْ عينيها تاركةً جسدها طافيًا بِحرية وانسيابية فوق سطحه وهو يتابع كلامها، ثم شرعتْ في إكمال –كلامها– ما اعتبرته هذيانها أو فضفضتها له:

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

أرأيتُكَ هذا الرأي العجاب أن بُغية الأنثى ظلٌّ تتحاشى فيه سوء الأقدار فتبذل نفسها متفانيةً في حبه كما تستمتع بالأسر الذي يربطها به كـ" ظلها المقدس"؟!!!؛ تظل تبحث عنه ثم يأتيها كأحد أقدارها الذي يكبل مصيرها في الحياة ولا تصل إلى ما انطوتْ عليه حقيقة القدر ولا حكمته في رباطهما المقدس إلا بعد أن يتما إعمالهما فيها!

ظل البحر هادئًا يستمتع بطفوها على ظهره، كان كل ما يشغله كيف يصل بها إلى حالتها السالفة من النشوة واستعذابها لتخلل مائه فجواتها وتسلله في أريحية إلى كل تفاصيلها الشهية لكنها لا تُبدي إلا الاستسلام وتفترش موجَهُ نائمةً على ظهرها لا تسمعُ إلا هسيسًا خافتًا ووشوشات الأمواج الهامسة –المراقبة لحديثهما–على استحياءٍ، وتستمتع بهدهدته الرقيقة التي أعادتْ

إليها صوت "سيدة الكرسي الهزاز"، فابتسمتْ في سعادة، ثم عاودتْ حديثها إيحاءً:

أراك تطيل صمتًا، أبدأت تحاذر مني أم ربما أنصتَ حقيقةً لما أوحيتُ إليكَ؟. أنت ربما لا تصدق ما يفعله "ملح الأرض" هذا التكوين متحجر القلب بنا نحن (وأسرتْ في نفسها نحن حوريات الأرض).

طال صمتٌ بينهما، فابتدرته مستنفرة إياه أن يبادلها الحديث لتأنس به ثم أنزلت طرفها السفلي وشرعتْ تسبح وتغوص وتطفو فيدور معها يقذفها ببعض مائه ملاطفًا ثم تعود لوضعيتها السابقة وتغمض عينيها مرةً أخرى حتى يتواصلا وحيًّا.

تمنتْ أن يعودا لمشاركة الحديث فلطالما اشتاقتْ إلى حديث مزدوج تتبادله معه بطريقة مثالية فتمارس معه فن الحوار، فهي تؤمن بأهمية المناقشة والحوار في اكتشاف بواطن ومكنونات

الآخـر وفـك غموضــه والوقـوف علــى مـواطن سعادته وأسباب حزنـه، بل وسبر أغواره والتعرف علــى بواطنــه أكثـر والتقـرب مـن ضـعفه حتـى يتســنى التفــاهم والتواصــل دون أدنـــى رفــض لطبيعتة أو طباعـه التـى جُبِلَ عليها (كنوع من تقبل الآخر).

_ هوني عليكِ حلوتي وصغيرتي، مازلتُ بجوارك ومعكِ؛ أنصتُ لإيحائكِ وأستمتعُ بحديثك.

_ دعْـكَ مـن حكايـاتي التـي قـد لا تـروقُ لـك، وخبرنى عن محبسك هنا في خضم هذه الأمواج العاتية، أهو التمرد أم التجرد من ماديات الأرض ومســئولياتها، أم ربمــا أردتَ اســتقلالًا ذاتيًّــا، فتخيرتَ هذا البراح لتسكب نفسك فيه؟!

_دعيني ألاطفُـكِ حوريتي الجميلة الناضجة أولًا، وسأجيبكِ عن كل تساؤلاتك وأدثر كلَّ مخاوفك، فلا تتعجلي. سأتلو عليكِ الآن قولًا ثقيلًا وسردًا

ماتعًـا مـن حكايـاتي التــي احتفظـتُ بهـا لوقتهـا وكلما مُلِئْتُ بها أفرغتها في أصدافً لفظتها إلى الرمـال ليقرأها المحبـون لـي مـن المـولعين بقـراءة رواياتي، الآن سأقص عليكِ ما كان من أمرهما خبرًا:

مـع أول خيـوط الفجـر وقبـل أن يتبـين الخـيط الأبيض من الخيط الأسود تسللا إلى الماء، كل منهما أمسك بيد الآخر، بثا إليَّ همسة رقيقة: "ما أتيتنا حتى استأتيناك مهروليْن نحجل في ظلالنا؛ تعوقنا الأقدارُ".

نزلا إلى الماء بكل شوق ورغبة أن يغتسلا من أدران الحيـاة وشـقاء قلبيهمـا وقبـل أن يسـتيقظ المرتـادون للشـاطيء، هـو الوقـت الـذى يروقـه للنزول أكثر من أي وقت؛ لأنه كان يغار عليها من نظرات الفضوليين كما كان يغار عليها أيضًا عنـدما كانـت رجلاهـا تنفرجـان أمـام الأطبـاء

مرغمـةً. كـان لا يسـتحب ذلـك لـولا إصـرارها وتشبثها بحلمها الذى لم يكن الهدف نفسه من زواجـه منهـا، فهـو قـد أحبهـا لشخصـها، وبعـد الزواج اكتشف هذا الحب الذي وصل إلى درجة العشق والفتون بها، فلم لا يغار حبًّا وعشقًا؛ وهي كل ما لديه في هذه الحياة، وأغلى ما يملكه في هذا العالم هو قلبها الذى استأثر به دون كل البشـر؟!، واشـتدت غيرتـه عليهـا أيضًـا بعـدما أخبرهما طبيب أنها تعاني من مشاكل تعرقل الإنجاب قد يتوقف حل هذه المشكلات جميعها على ارتباطها بزوج آخر، وبعد توصيات كثيرة من الأطباء أُجريت لها عدة عمليات جراحية وعمليات التلقيح الصناعي التى لم تؤتِ ثمارها المرجوة فباءت بالفشل في كل مرة، كانت قد استنزفته ماديًا كما نفسيًّا أيضًا، أجمع الأطباء على رأي واحد: "إنها تحتاج إلى معجزة لتصبح

أمًا"، وبالأخير فهي تكمن فيها المشكلة فوعاؤها يقلب الجنين ولا يحتفظ به لأسباب غير معلومة، الأمـر الـذى أصـبح يهـدد علاقتهمـا الزوجيـة فأصبحت هي الأخرى شديدة الغيرة عليه بعد أن بخت أمها في أذنها الظن بأنه يملك الحجة، وسيتركها ليتزوج بأخرى لا محالة، ومع غيرتها الشديدة أصبحتْ شديدة الحساسية أيضًا، وعندما كان يرمي إحداهن بنظرة عابرة كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها.

كلاهما كان يخشى الفراق وكلاهما كان يخفي خوفه ألا تستمر حياتهما معًا، لكنهما لم يتفقا أبدًا إلا على شيىء واحد هو الشجار الدائم، كل منهما يتوقع لحظة الفراق ويحسب لها ألف حساب، هى تعاني دومًا وتظن أنه لا يهتم بمعاناتها، وهو يصب جامَّ غضبه على والدتها التى تؤلبها ضده دومًا وتتدخل بينهما في كل

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

الأمـور بـل فـي كـل صـغيرة وكبيـرة حتـى تفاصيلهما الخاصـة، ولولاها لما كان الآن مدانًا لجميـع الخلـق ممـن يعـرفهم أصـدقاء ومعـارف وزمـلاء العمـل، فخـلال سـبعة أعـوام هـم عمـر زواجهما كان قد استدان فوق ما أدين بـه ليتمم زواجـه منهـا ويفي بطلبات العروس وأمهـا، حتـى وصل الإحساس به إلى كراهية الحياة والندم على الزواج من الأساس.

كان يحاول معها وينصحها ألا تتبع رأي والدتها فـي كـل أمـر، فتنسـاق وراءه دون تفكيـر، وستوصلهما حتمًا نصائحها وتدخلها السافر في حياتهمـا إلـى طريـق مسـدودة بعـد أن يـبغض كلاهما العيش بهذه الطريقة، ثم يصيبه الضجر بعـد رفضـها أن تسـمع كلامـه أو تنقـاد إلا لآراء أمها.

بعد نزولهما للاستحمام في هذا الوقت الباكر جدًا شرع يداعبها ويضاحكها وهي تبادله فعلًا بفعل، فلما وجد الفرصة سانحة ومزاجها في أفضل حال ورأى أنها قد تستجيب لطلبه الوحيد ألا تسمع لكلام أمها ولا تنساق وراء نصائحها؛ فهو يريد أن يستمتع بحياته معها ويعودا لسابق عهدهما في فترة خطبتهما السعيدة، كانتْ ردة فعلها صادمة ومخيبة لآماله، فانقلبتْ حالة السعادة إلى غضب وعصبية لم يتوقعها، فتشاجرت معه فلم يصدر عنه أى رد فعل إلا أنه كظم غيظه، ودفن ألمه في نفسه، فيبدو أن عضلاته قد تيبستْ وأوقفته تقلصاتها عن السباحة والحركة، تفاجآ أنهما دخلا إلى عمق الماء ووصلا إلى مكان بعيد من الشاطىء، وهي ماتزال تكيل له الاتهامات ولا تأبه للداومة التي

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

حاصرتهما وسحبتهما إلى مسافة بعيدة دون أن يشعرا.

حاصرتهما الدوامة المتربصة فأمسك كلٌّ منهما بيد الآخر، بَيْدَ أن كليهما كان قد تيقن أن التشبث لن يدوم طويلًا، وصدق حدسهما، فقد جاءتهما موجة مباغتة قوية وانكسرتْ فوقهما؛ فضربتْ على أيديهما المتعانقة لآخر مرة ففرقت بينهما، هي لم تصمد طويلًا وغاصت في عمق الدوامة بينما هو كان يدور فى براثنها مستسلمًا حتى استرختْ عضلاته.

كنتُ معهما أسمع – ما دار بينهما وما دار في خَلَدِهِ– وأرى تشبثه بالموت بعد أن فقدها، فأردتُ أن أثنيه عن الاستسلام لهذه الدوامة وأدفعه بعيدًا عنها لكنه قال لي: دعنى أيها البحر لألحق بها فلم تبقَ لىَّ حياةٌ بعدها، ولكم تاقتْ نفسي إلى انعتاقها، أتظن أن الموت يخيفني أو يحزنني؟

لا.. إنما يخيف مَنْ لا يدرك كنهه وحقيقته، الموتُ يُحزن أولئك الذين مازالوا يمنون أنفسهم بما سيحققونه في الحياة، يُحزن مَنْ لديهم آمال وأمنيات ورغائب يريدون تحقيقها؛ لذا الموت لا يهابه إلا مَنْ تعلق قلبه بالحياة ومغرياتها، فحين يحزن الأحياء على ميتهم لأنهم يعتبرونه مفقودهم؛ لا يدركون أنه يسبقهم إلى مكان معلوم سيلحقون به عما قريب دون حيلة أو شفاعة. الحزن هو طقس من الأنانية التي يمارسها الأحياء رغم أنهم يعلمون أن انعتاق الروح من الجسد بالموت هو ملاذها ومنشدها لراحتها الأبدية، فحين تفارق الروح جسدها المتسربلة فيه تصعد إلى فضاءات رحيبة من السعادة الفضفاضة فيسنح لها –بعد الانعتاق–الامتزاج بالكون لتطل الروح من شرفات الفراغ فترى حيوات ناغمة بالسمو وترى براح الكون واتساعه

وتسـعد باكتشـاف عـوالم المتـاح فـي الحيـاة – البرزخـية– الجديدة تمتزج فيها بمكونات الطبيعة الخلابـة وتلـتحم مـع مظـاهر الجمـال مـن آي الإبـداع الإلهـي وتصـبح جـزءًا منـه بـل إنهـا قـد تشارك في الطقوس الكونية بُكْرةً وعَشيًّا، وتتجول بحريتها في أروقة الدهشة المحجوبة عنها بفعل جاذبية الجسد الذي يكبل انطلاقها نحو الخلاص فتصبح سيَّاحةً في الملكوت لا يحدها حدود ولا تعوقها أية معوقات عن النفاذ واختراق الحواجز، فتكفر بكل قوانين المادة وفعل الكتلة والوقت الذي هو وحدة قياس الحياة، فالحياة السرمدية الأبدية منالها سهل إذا تخطينا لحظة الموت، بعدها تصبح الروح كعصفور صغير محبوس فُتح له باب قفصه المذَّهَب فانطلق إلى غير رجعة، هيهات أن يعود بعدما ذاق طعم الحرية وارتشف أريجها..

اتركني أيها البحر لأواجه مصيري المحتوم؛ فإنى أَنْشُدُ انعتاق الروح وأتوق إلى سفري في درب الأبدية وخلودها، لكني سأترك لك رسالتي إليها لتدونها في كتاب العاشقين الذى حملته دومًا وسطرتَ فيه تاريخ المارين بك، أكتبُ إليها رسالتي بعد رحيلها ما كتبته أشواقي في سِفْرِ "المشتاق وجحيم الأشواق": " بعد السلام على روحك، استعرتْ أوراقُ الخريفِ التي تساقطتْ من قلبي يومَ غيَّبكِ الرحيلُ، وتخلخلتْ تلك المسافاتُ التي حسبتُها أبدًا لن تطول بيننا، وتداخلتْ موجاتُ نبضي الهزيلِ؛ وأعلنَ أنه مولٍّ وجهه نحو التمردِ ينشدُ العتقَ والفرارَ إلى نهايةٍ سوية".

حاولتُ أن أمنعه أو ألفظه خارج مائي فأمرتُ أمواجي أن تزيحه في اتجاه الخروج الآمن فاتحدتْ واجتهدتْ لتحمله لكن رغبته كانتْ

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

أقوى حتى أنَّ كائناتي شاركتْ في حَمْلِهِ لكنه أبى الخروج.

بعد طفو جسد زوجه، في صبيحة ذاك اليوم، عثروا عليها بين جثث البحر الملفوظة من قناديل ومحاراتٍ ونجمات وأصداف.

في الصباح التالي وجدوا أُخطبوطًا على الشاطئ كان يحمل وشمه الذى كان مطبوعًا على يده منذ تم تعميده في الماء المقدس منذ طفولته، لكنهم لم يعثروا على جثته، قال الذى عنده علم:

"البحر بارٌ شفيقٌ؛ لا يرد نداءَ أمٍ، فابعثوا لأمه تأتيه فتنادي باسم ابنها وسيلبي البحر نداءها من فوره"، قالوا: إنه لطيمٌ، مات أبوه ثم ماتتْ أمه منذ آخر اعترافٍ لها.

_ نعم..نعم أيها البحر الشفيق، لقد كنتُ هناك معهم على الشاطىء عندما انتشلتْ فرقة البحث والإنقاذ جثته بعد قرابة الأسبوع، وبعدما أُخْرِجَ

كانتْ الملوحة قد طمستْ ملامح وجهه ومعالم الجسد وذوبت جلده فأصبح من الصعب التعرف عليه إلا من خلال خاتم زواجه ووشم غائر كان على ذراعه.

أُفٍ من هذا الشجن الذى يجر علينا ذكرياتٍ أليمة!. لماذا تزورنا الشجون دومًا وكأننا على موعدٍ دائمٍ معها متى تسربلنا في أجسادٍ فانية؟ نعم.. تلك هى الحياة الدنيا لا نعيم فيها إنما النعيم الخالد في دار البقاء والخلود.

لحظات صمتهما هذه المرة كانتْ من صمت الحداد الذى تقمصاه بعد هذي الحكاية الحزينة، ثم عاد البحر لملاطفتها فذاكرته لا تحتفظ بالحزن لوقتٍ طويل، فانتزعها من صمتها وشرودها بلمساته وطريقته المباغِتة دومًا، فابتسمتْ لمغازلته وضحكتْ من طريقته البدائية في التعبير عن الرغبة التى تسري منه من

السـطح للقـاع لكـن تشـعر بهـا حتـى محاراتـه وقاعياته.

ثم قـال لاهثًا مـن فـرط الرغبـة التـي استبدتْ بـه وزلزلتْ كيانه:

_أميرتـي، بـل ملكتـي المتوجـة: دعينـي أمسـحُ عن وجنتيكِ آثارَ لهثكِ خلف ظلالك المجهولـة، تعـاليْ إلـيَّ؛ أدثركِ بمـائي كلـه، ودعينـا نتفق أولًا أننـا عاشـقان منـذ الأزل، فقـد انبثقـتِ مـن بـين أضلعي التـى احتوتكِ قديمًا وتريد احتواءكِ الآن ليعود الجزء إلـى الكل فـي لحظـة اندماجٍ تاريخيـة تتعـانقُ فيهـا روح البحـر بروحـه المنبثقـة منـه، هلمـي إلـيَّ أيتهـا الآبقـة مـن حضـني إلـى عنـاقٍ أبديٍّ نلتحمُ فيه التحامًا سرمديًّا.

_ لا تحدثني طـويلًا، ولا تنظـر إلـيَّ تلـك النظـرة الحاذقــة، تكبلنــي نظراتــك وتأســرني كلماتــك؛ تسـتنطقني؛ فـلا أسـتطيع الكـلام؛ فثمـةُ أحـرفٌ

تموتُ فوق شفاهي فأتعلثمُ، وبريقُ عينيــكَ يذهل خافقي، فيذوب فؤادي، فأهتف باسمكَ وأترنمُ.

_يـا أُغـرودة العشـق ونبـع الحيـاة، أيـا تعويـذة السحر التـي كبلتنـي فـي أسرك؛ يـا وشم الطـوق حول روحـي: لا أريدُ منكِ انفكاكًا، سأظل أحبُّك بعدَ حدود العشق وبعد الشوق.

_يا قصة عشقي الأبدية،

يا آخر خاطرة شبقية،

تعالَ؛ كتبتُ لأجلكِ أغنية،

ولملمتُ جراحي المنسية،

وغزلت من أتراحـي لون الفرح، فأنرتَ بوجودك ليَّ الدنيا.

_أسمع قوة نبضـكِ رُغم أنـكِ تتظـاهرين بمتابعـة تلك الدوامات، لا تخافي يـا صـغيرتي؛ أنـا هاهنـا بجوارك حارسكِ منذ بزوغ الكون.

_أيـن منـي فـرارٌ وأنـا سـابحة فـي دمـاكَ، أمتـزج بروحك؟؟!!

_فهل تنتظرين أن تُمْتَزَ روحـي من روحـك؟!.. مستحيلٌ أن تتغير وجهتنا إلى غير اندماجنا.

_أنـا مـداركَ لسـتُ مسـارَكَ، سـتظل تـدور حـولي ولن تسقطك جاذبيتي.

_ نعم .. سأدور كما المريد يدور سكرانَ باللذة في حلقة الذكر.

_أيها الناسِـكُ في محراب عشقنا، حقيقةً .. بتُ لا أشـبعُ مـن الارتـواء مـن منهلِـكَ العـذب الرائـق ودومًـا أسـبح فـي بحـرك الزاخـر وأشـتم أريـج ينبوعك.

_ أبحث عنكِ منذ بدايات الدهر، في كل قصـة عشـق، أبحـث فيهـا عنـكِ يـا حبـة العـين ونـور القلب.

_ أتذوق آي الجمال فيك أيها الأسطوري. أنا لا أتوق الآن إليك،

أنـا تمزقنـي الرغبـةُ فيـكَ وتُـوقفني علـى حافـة الانصهار والذوبان.

_عجبًـا..كلمـا زدتُ منـكِ اقترابًـا، زدتُ ابتعـادًا لاشـــتعالي بلحظـــكِ الفتـــاكِ، فمـــا حالـــكِ الآن؟.خبريني!.

_يا مضرمًا بقلبي النار، قلها لـي: "سوف ننضج معًا على نارٍ هادئة".

_يرتشـفني ظمـؤكِ، تمتصـني الشـفاه فتمتصـي رحيقي، وحين أُسْرِيَّ بي عبر مساماتك امتزجتِ بروحي.

___مليكَ قلبي، يا جنتي الأزلية، ونعيمي الدائم، أسمعني صراخك الآن، وأنت في قبضة عشقي؛ لن أُفلتك.

_لا أقوى على اعتصارك حين تلتهمين الروح بآهاتك.

ياالله ستدوي آهاتي!..

_أسمعنيها صرخاتك المدوية؛ وقبضتك الناعمة الحانية تطبق على روحي المنتشية، وآهاتكَ المستنجدة استعرتْ من تأجج رغبتي فيك.

_أُواه!، يا ولعي وانتشائي!.. أيتها النشوة المتقدة والمتعة الخالدة، سأقولها لكِ الآن: " سوف ننضج معًا على نارٍ هادئة "، فدعيني الآن أمتزج بكِ بكلي.

_ مهلًا. مهلًا.. لن يكونَ لكَ ما تريد إلا إذا نفذت مطالبي، الآن أسمعني جزءًا آخر من أساطيرك أو حكاياتك العتيقة المخبوءة في عمق ذاتك.

_ أعشقُ مراوغتك حبيبتي، لكني لن أخذلكِ، وسأسردُ عليكِ سردًا جميلًا، وحدثًا مدهشًا

طازجًا، آخر ما وردني من أحداث أهل الأرض؛ فلتنصتي:

سأُسْمِعُكِ آخر ما أتاني من أخبارهما، لمَّا قال لها حبيبها:

ثماني سنوات نجمع المال للبناء، مطحونٌ في الحياة كأنني ثـوْرٌ أغمضوا عينيه عن الدنيا بلذاتها ومتعها كلها، وبالكاد أستطيع تحسس هذا المسار الدائري الذي أدور فيه مغمض العينين.. مكبلٌ أنا في أسر مصيرٍ محتوم هو أيضًا مكبل بقَدَري المجهول؛ صدقًا، أنا لا أُريد انفكاكًا من هذا الأسْرِ الذى يختارني ويختاركِ دون إرادتنا.

بعد فترة صمتٍ لم تطل كثيرًا، أجابتْ:

هون عليكَ، فمازالتْ أيدينا في عناقٍ كما اتفقنا منذ البداية، وعلى عهدنا ووعدنا ما استطعنا ماضون.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

_ نعم؛ هكذا اتفقنا حقيقةً؛ اتفقنا أن نصمد ولكن عدم الاستطاعة استدرجنا إلى التفكير في الحنث بكل العهود، فكان لِزامًا علينا أن نغير من نمطية التفكير التي لم تعد تناسبنا ولم تعد تروق لي وحتمًا لا تروق لكِ فلنأخذ في عين الاعتبار حاجاتنا البيولوجية المُلحة ونداءات الجسد التي تهد في الروح وأوصالنا دون استكانة، وكذا آلام الرغبة التي سيطرت على العقل فخدرته وأوقفته عن التفكير في أي شيءٍ إلا في انقضائها؛ فقد شارف عمري على الأربعين وأنتِ أيضًا كذلك، فلماذا تتجاهلين حقكِ وحقي في الحياة؟!.

أجابتْ، وعيونها مغرورقة بدموعٍ تخشى الانسكاب فلا تبديه من ضعفٍ؛ الضعف الذي تقاوم ببسالةٍ أن تظهره بل تنكره حتى بينها وبين نفسها:

_لمَّ لم تأخذ في حسبانك أي شيءٍ ولم تفكر إلا في نزعاتك وغرائزك التي تعمدتَ إثارتها بنفسك؟

_هـه. خبريني مَنْ يكترث لنا أو مَنْ يهتمُ بأمرنا؟!، مَنْ عساه يأخذ بيديْنا إلى سترٍ قريبٍ في عشٍ كريم؟.. خبريني أيضًا أين السبيل وقد ضاقتْ بنا السُبل؟

لماذا لا تفكرين بطريقتي المُثْلى؟ إننا زوجان أمام الله فليربطني بكِ أمام الله هذا الرِباط المقدس إلى أن يشاء ربى شيئًا.. ألسنا اتفقنا على الحياة معًا في السراء والضراء وحين البأس؟ أولسنا اتفقنا أن نُكمل حياتنا السرمدية معًا؟!

_ ألم تقلْ إنكَ ستصمد معي لنواجه الدنيا؟! ومع ذلك لا تتحمل الآن بأسَ ما نحن فيه، فكيف ستتحمل غدًا معي قسوة الأيام وصروف الدهر؟!

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

_فكري يا حبيبتي.. نلتقي ونسدُّ جوعنا وننحر وطر الرغبة التي ضعضعتْ منا الجسد ولم تترك لنا حيلةً ولا عقلًا قويمًا، أيرضيكِ حالنا ونحن نُتخطفُ من أمننا حين نخطف خِلْسَةً بعضَ قُبلاتٍ أو عناقاتٍ مسروقة، وكلُّ تفكيرنا ألا يستبد بنا الشعور أكثر فنَزِلَّ ونخزى، ومع الحَيْطة والحذر ألا نسقط في هوة الخطيئة رُغم ذلك نظل نشعر أننا حقًا آثمان؟!.. الزواجُ حبيبتي ليس إلا قَبولًا وإيجابًا، فدعينا نستردُ عمرنا الضائع وننتشل أيامنا القادمة فنستعيد الوقت الذى سُرِقَ منا عنوة عندما تسرب العمر من بين أيدينا ولم ننجز شيئًا يُذكر بل لم ننجز شيئًا البتة، فلنحيا كما أردنا الحياة، فلن تتوقفَ عَجَلةُ الزمن عندنا نحن الاثنين.

شعرتْ بأفول روحها وتمزقها؛ فرغم أنها تاقتْ إلى تلك الحياة التي تجمعهما إلا أنها لا تُنكر

صدمتها من قراره ورأيه المفاجيء، وحتى لو التمستْ له الأعذار فإن عقلها يرفض هذا الحل الأمثل من وجهة نظره الأبعد من وجهة نظرها بل هو رابع المستحيلات وضربٌ من ضروب المُحال، فكيف بعد كل هذا الصبر تتحول حياتهما إلى لحظاتٍ محرمةٍ وعلاقةٍ آثمة؟ وكيف ستستطيع أن تحيا بهذه السعادة المنشودة من زواجهما إذا كانت سعادة زائفة مؤقتة أُوعِزَتْ إليها إيهامًا وطيشًا وكيف تجيء الجرأة على تنفيذ هذا القرار البائس في لحظة ضعفٍ مستبدة مهما استبدت؟! أقرتْ: بل كان هذا مَحِلُّكَ إلى سقوطٍ اضطراريٍّ من ناظري إلى الأبد؛ لكن لا رغبة لدي في البقاء؛ إذ اعتزمتُ الرحيل فلا حجة لديكَ أيضًا للبقاء، فلا عذل ولا تثريب عليَّ منذ الآن إذا شرعتُ في النسيان، فارحل واغتنم التفاتةٌ مني.

7-" مـــرافىء الحـــرمان "

****

"يالَـــــــروعة التخلـــي حينمـــا تجتاحُنـــا الرغبـــةُ الجامحـــةُ فـــي البقاء!".

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

غفتْ لبرهةٍ بين يدى حكايته، فكفَّ عن السرد، شرع يلاطفها ويتحسس جسدها ممسدًا كل أعضائها وبروزاتها، فتمشط يداه مناطقها الغزيرة فتصعدان هضابها وسهولها، تغزوها لمساته بكل قوة وقد أدمنت يداه لمسها واعتصارها، فكلما ارتفعتْ يده مع علو جبالها هبطتْ مع تدانى وديانها، لا يكف يده عنها مؤمِّلًا أن يعيدها إلى حالتها من النشوة والثمالة والترنح من سُكْر الرغبة؛ انتظر أن تستسلم فحاول أن ينتشلها من براثن المماطلة التى تجيدها كما يجيد مباغتتها مستغلًا فتوته وضعفها.

باغتها معتصرًا كل جسدها؛ فتأوهتْ، وتعالى صياح الرغبة المخبوءة التي استحثها اعتصاره لها بقوة، لم يزل بها يستحث ثورتها ورغبتها

حتى زلزلتها الرغبة وتمكنت منها، هذه اللحظة التى انتظرها، فأسر في نفسه حتمًا ستبذل نفسها وتعطيه ما يبغى وفوق ما يريد، فما يزال بها حتى ألقمته نهديها.

ظل يرشف من نكهات شتى؛ نكهات شهد رضابها وشهد نهدها المُسْكِر متأوهًا، فلما أحسته قد قارب على تمام ريه مسحتْ بيديها فوق شعره الناعم باسمةً "بكل الرضا قد استبحتني؛ يالَكَ من عاشق مقتدر!" هكذا حدثتْ نفسها.

كان مازال يتحسس تفاصيلها مستطلعًا حقيقة الظن الذي حاك في صدره، ثم عاجلها بلطمة شديدة، ترنحتْ من هولها، وتساءلتْ عن سبب هذه اللطمة المباغتة وسر غضبته،

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

فأجابها بأسئلة متتابعة عكستْ انفعالًا غير يسير وغضبًا ممزوجًا بحزن وألم:

_أين ذيلك الطويل المنتهي بزعنفة مفلطحة والمرصع بقشور مذَّهبة متناوبة مع قشور أخرى مفضضة تتماهى مع مزاجيتي المتقلبة؟!.. خبريني إذن من أين جاءتْ لؤلؤتاكِ المزينتان لصدرك؟..

أين جدائل شعرك الحريري المنسابة حولك والتي ما إن أشتمها؛ حتى أتعبق بعبيرها الأخاذ؛ فأعدو خلفكِ وأتركِ تتنعمين سابحةً بحريتكِ فى مائي، بل كنتِ تغمضين عينيكِ وأنتِ تبتسمين بدلالٍ يراوغ عنفواني؛ فأباغت شغفك بى وأعتصركِ بشراهة؟!

لا لا لا. لستِ حوريتي التي أعرفها، وهذا الشعر المنسدل حتى أنه لا يقارب منكبيكِ

وهـذان الطرفـان اللـذان انشـق عنهمـا ذيلـك الجميل لا أدري كيف نبتا!.

أين رونقك وسطوعك وضياؤكِ؟..

لستِ مَنْ أعرفها. أنتِ لستِ حوريتي؟!..

أيتها الأنثى المُراوغة مجهولة الهوية: في كل الأحـوال بـاءتْ محاولتـك للاسـتحواذ علـيَّ بالفشل بعد أن جرحتِ كبريائي واعتقدتِ أنـي مستسلم لكِ لا محالة.

أجيبينـي: لـم اسـتحللتِ مشـاعري وامتطيـتِ جموحي وفجرتِ رغباتي الكامنة؟؟!!

حاولتْ الرد لكن رَجْع صوته وهو يتهمها بأنها خائنـة أثناهـا عـن الـتكلم والبـوح، مـاذا كانـت تستطيع أن تقول أثناء فورة غضبه وبعد نفوره منها؟

حاولت كثيرًا الدفاع عن نفسها مرارًا لكن في كل مرة كان يموت الكلام على شفاهها- كما حاولتْ رفيقتُها الدفاع عن نفسها من قبل، يومَ انهالتْ عليها اتهاماته وصفعاته؛ هي لم تفرِّط لأي شخص ولم يلمسها أحدٌ سواه، وأخذتها الظنون بنفسها ربما فضتْ بكارتها هذه العادة السيئة أو ربما كان غشاؤها مطاطيًا كما قرأتْ من قبل عن أنواعه، فلماذا يتهمها دون أن يستكشف حقيقة الأمر؟!.. هي أيضًا لم تدرِ شيئًا عن هذه الفاجعة من قبل مثله تمامًا، ولا تدري الآن كيف تتصرف وماذا ستكون حجتها الدامغة التى تُوقف نزيف الشك بينهما وسيل الاتهامات الذى يكبه عليها كالماء البارد في عز الشتاء، وإلاَّ سيؤول مصيرها، تُسائل نفسها في وجلٍ ينتفض له القلب: هل كان

عليها أن تذهب إلى طبيب قبل أن تُزَّف إليه كما نصحها أترابها؟ .. هي الآن تقف ما ليس لها به علمٍ موقفَ المتهم البرىء وعليها أن تبدو قوية وتتجلد في الرد عليه لئلا تترك له فرصة الشك فيها فلن تمر الأمور بسلامٍ مهما فعلتْ؛ فهذه اللحظة هي بوابة الدخول الآمنة إلى حياةٍ هانئة مطمئنة؛ وإلا كُتِبَ عليها من بعدها أنها في الخاطئين إلى يوم يبعثون– يصفعها موجُهُ فانتبهتْ، فأعاد عليها أسئلته – ملحًا مزمجرًا:

_ لماذا حدثتْ لكِ كل هذه التحورات؟

ترد بأنفةٍ وكبرياءٍ ردًا ناعمًا ليستحث ردها ثورته المكبوتة ويبعث رجولته المخبوءة خلف جبروت صموده الواهي الذي تقرأه على علمٍ،

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

صـوتها المتـدلل يحضـه علـى الرأفـة بحبيبتـه فردتْ:

_ ما كان يضيرك لو انشق ذيلي أو نبت لي آخرُ كزائدة سابحة حولي؟ وماذا يهم إن كنت أطلقـت شَـعرى أو عمـدتُ إلـى تقصـيره؟ ألا تـرى أن هـذا "النيولـوك" قـد يثيـر شـهيتك فـيَّ أكثر؟..

ألسـنا عاشـقيْن كمـا اتفقنـا. فلـمَ تحنـث الآن بوعودك؟

يسـتبين اسـتخفافها بقـدره ومراوغتهـا المتعمـد فـي الـرد علـى تسـاؤلاته، يرسـخ هـذا بداخلـه إحساسًا مقيتًا تجاهها، لكنـه هو الآخر تريث ليستكشف حقيقة الأمر ويستطلع من خبرها ما يجعله يلتمس لها عذرًا.

_هل يمكن أن تكوني غادرتِ حياتنا البحرية وأبقتِ لفترةٍ في عالمٍ آخر؟!

باغتها البحر بضمة قوية استطاع خلالها تحسس جميع تفاصيلها؛ يالللفاجعة الموجعة! معرفة الحقيقة أصابته بصدمة شديدة فأصيب بالدوار؛ تقلَّب موجُهُ على موجِهُ وانقلب على عقبيه كأنه خَسر الدنيا والآخرة؛ تحول فجأة لإعصارٍ مدمرٍ ك" تاسونامي".

شرع في بكاءٍ مرير واستمر منهمرًا دمعُ مآقيه فحتما سيقاسي الحرمان بعدما تغادره إلى عالمها بين ملح الأرض ولن يستطيع أن يمتزج بها ثانيةً بعد أن تستقل عن مائه وتعود إلى الديار.

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

يحاول أن يهدىء من روعه قليلًا، يالَروعة التخلي حينما تجتاحُنا الرغبةُ الجامحةُ في البقاء!!!

كان في أعماق نفسه مُقِرًّا أنها ليستْ محبوبته وحوريته إنها منتحلة وكاذبة وخاطئة.

شلالاتٌ من دموع تجري، كأنما تنهمر من توربيدات عينيه بلا انقطاع، مع غضبةٍ شديدةٍ حملتها أمواجه خارجًا، فلفظها البحر في آخر لحظة التحامٍ وتواصلٍ؛ لتجد نفسها تستوي على الأرض بينما يكسوها ثوبٌ من الرمال البيضاء كغلالةٍ من سترٍ أنيق.

رقتْ لدموعه الغزيرة شمسُ الأصيل فبكتْ معه حتى احمرتْ عينُها الحمئة اشفاقًا عليه، فشرعتْ في احتضانه وربتتْ على وجعه ثم أخذته في حضنها لتعانقه وتهدهده كأمٍ عزَّ

عليها آلام صغيرها وبكاؤه؛ فالتحمتْ به في مشهدٍ مهيبٍ لأفول الشمس؛ والبحر يغفو في حضنها، حينما التحمتْ السماءُ بالأرض فعادتا لسيرتهما الأولى وأصبحتا رتقًا.

ما آلمها حقًا لم يكن عزوفه عنها وأنه لفظها كما لفظتها الحياة، ولكن آلمها أكثر نعته لها ب"سيدة الماء العذب"؛ نعتًا استدركتْ معناه عندما وجدته ف حضن الشمس حتى أنه تاق إلى الأفول معها، يخبرها استسلامه أنه ودعها وداع المضطر بلا عودة وبلا مبرراتٍ مقنعة، فانحدرتْ دموعها الغزيرة كأنها نزلتْ من جبال الصمود الى سفوح الانهيار بعد أن خرتْ صريعةً لتتساوى بوجه الأرض.

عاتبته بكل رقة وإشفاق فلن تنسى الفضل بينهما وتذكرتْ حينما كان يستحل اعتصارها

أويغفو في حضنها فتغفو في حضنه بكل أمان الكون:

آلآن رُفعتْ آخرُ صحائفٍ كتب لنا فيها_ ما شاء_الهوى، فحنثت سريعًا بالوعود وبالجوى؟!

كانتْ ماتزالُ تتابع هذا المشهد النادر"منظر احتضان الشمس للبحر"، ويبكي قلبها ويتقطر من نفسها ألمٌ أليم، وتنزف روحها حزنًا على افتراقهما، تمنتْ لو رُتق فتاقهما والتحمتْ به مرةً أخرى.

سال دمعها مختلطًا بكبريائها. كبرياؤها؟! نعم. هذا الكيان الذي امتزجتْ به نفسها من قديم، والذي كانتْ تعتبره دومًا سر بقائها قيد الحياة وسر تعلقها بالحياة رُغم كل أحزانها وما أجبرتها عليه الأقدار.

صار دمعها المسال برزخًا تحت قدميها وسدًا منيعًا قطع آخر فرصة للوصل به والاتصال بروحه؛ فلا يمكن بل من المستحيلات أن يمتزج الماء الفرات بالماء الأجاج.

هدهدتْ روحها المعذبة، وتهكمتْ على حالها وهمستْ وهي تمانع سقوط الدمع:

_بشراك يا قلبُ إنك ماكثٌ على برزخٍ وماءُ العين تسكبُه دمعًا جاريًا، أهو الحبيب قد يستحل دمعَ المُقَل؟! ومَنْ ذا بَعده هو ناصر القلب في الإحن؟!

انهمر ماءُ عينيها حزنًا وكمدًا حتى صار شلالًا هادرًا من الدمع الغزير فاض حتى انفجر برزخها اثنتا عشرة عينًا من مائها الفرات؛ فهي لم تبتغِ فِصالًا ولا انفصالًا عنه أبدًا، أشاحتْ بوجهها لتودعه وقبلها بثته آخر

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

همسة معاتبةً ومستنكرةً عليه إرغامها على الفصال:

أيها المتسرب من مساماتى، أأنا الغريرة البضة، تعتقدني هكذا؟!

بل أنا امرأةٌ دار بها العمر؛ آيسة أبحث عن أمان.

امرأةٌ؛ جالتْ في كلِّ العصور تتسولُ حلمَها فانتظرتْ فارسًا يجول بها في حقب التاريخ الأثيرة.

امرأةٌ؛ امتزج حرمانها بالأمل؛ لكنْ تقطعتْ بها السبل. صِرْتُ بقايا من آدمية ومَتْنًا صريحًا من إنسانية لم يُقرأ بعد. حفرتْ قرون الدهر فوق جبيني خطوطًا بل رسمتْ عليه ندبات جلية؛ هيهات أن تُحَلَّ شفراتها.

امرأةٌ؛ لا تلوي ذاكرتها على شيءٍ سوى آلامٍ وأحزان، جئتُ إليكَ لأتعلق قليلًا بسدين ستركَ.

جئتُ لأدثرَ فيك حيرتي وشتاتي وأستعيد ربيع عمري الآفل. جئتُ بعدما ظننتُكُ ألواحي ودُّسُري التى ستحملني. فجئتُ إليكَ طامعةً بك، أبتغي منك حضنًا ينسيني آلامي ولا يرقع لىَّ ذاكرتي المهترئة..

جئتك أريدُ نسيانًا فحسب،

كنتُ أريدُ نسيانًا فحسب،

كنتُ أريدُ نسيانًا فحسب،

بل كنتُ أريد استعادة حضني المفقود في"حِضن البحر".

تـــمـــت

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

الكاتبة في سطـور:

الاســـــم : د/ نـهى بلال

المهنة : استشارى تحاليل طبية

Noha Belal@Facebook.com

_عضو نادي القصة المصري.

_عضـــو إتحـــاد المبـــدعين العـــرب فـــرع القاهرة2017م.

_عضـو ملتقـى السـرد العربـي الـدائم بالقـاهرة 2017م.

_عضـو مؤسـس بمبـادرة "أكـوا" لتنميـة الكتابـة الإبداعية بالإسكندرية2018م.

_عضو بمنتدى المحكيات بالثغر2018م.

_تـم تكريمهـا فـي المـؤتمر الـدولي الأول عـام 2015 م، والثالث عام2017 م للقصـة القصيرة جدًا، كما حصلت على المركز الرابع في القصة

في مهرجان القلم الحر للإبداع العربي في دورته السابعة 2016م.

_حصلت على المركز الأول في القصة القصيرة جـدًا مـن منتـدى المحكيـات بقصـر ثقافـة الأنفوشي2018م.

_تـم تكريمهـا مـن محـافظ المنيـا ومسـابقة الأديبة/إبتسام الدمشاوي2018م.

_ تـم تكريمهـا مـن نقابـة المهندسـين المصـريين لدورها في الثقافة2018م.

_شـاركتْ بقصـص قصـيرة فـي كتـابين للقصـص مـن إصـدارات دار جـذور الثقافيـة للنشـر مـع مجموعـة كبيـرة مـن كُتَّـاب القصـة فـي الـوطن العربـي، مجموعـة "معزوفـات قصصـية"2017م، و"أريد حـــــلًا"2018م.

_نُشرت لها العديد من الأعمال في العديد من الدوريات الأدبية والمواقع الإلكترونية، كما تعمل

المشـرفة علـى صـفحة الأدب" واحـة الإبـداع الثقافيـة " فـي جريـدة النائـب الورقيـة، والمستشـار الثقافي لبرنـامج "النائـب" على قنـاة صـوت العرب الفضائية.

صـــدر لها:

- مـــرفأ الذكـــريات " مجموعة قصصية "
- نوارس لا تعرف شطـــآنها"مجموعة قصصية"
- شـذرات عشـــــــــق" مدونات "
- خـــواطر عاشقة " مدونات"
- أُفـــــــول" قصص قصيرة جدا "

تحت الطبع:

- العابرون حـــــدود الحلم

" مجموعة قصصية"

مع تحيات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الادارة

عبد القادر الحسيني

المشرف العام

محمد عبد القادر الحسيني

المدير العام

عصام عبد القادر

نائب المدير

حسام الدين عبد القادر الحسيني

الهيئة الاستشارية للدار

الدكتور حسام عقل الدكتور على جاد الحق

الدكتور لطفي سيد صالح الدكتور بسيم عبد العظيم

الشاعر عادل عبد الموجود